تحمل المسؤولية في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

قصة يوسف عليه السلام أنموذجاً

إعداد الدكتورة

دلال بنت سليمان بن زيد المسلم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

المملكة العربية السعودية

تحمل المسؤولية في القرآن الكريم دراسة موضوعية قصة يوسف عليه السلام أنموذجاً

دلال بنت سليمان المسلم
تخصص التفسير وعلوم القرآن، كلية الآداب قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض، المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: dlal.moslem@hotmail.com

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى بيان معنى المسؤولية، وبيان درجات تحملها في ضوء قصة يوسف عليه السلام، واستنتاج الآثار المترتبة على تحمل المسؤولية قوةً وضعفاً. وقد اتبعت في كتابته على المنهج الاستقرائي الاستنباطي من حيث جمع الآيات القرآنية التي تحمل معنى المسؤولية في سورة يوسف عليه السلام، ثم تفسيرها تفسيراً إجمالياً، والاستشهاد بالأحاديث النبوية الصحيحة، واستنباط الفوائد والآثار المترتبة على تحمل المسؤولية من عدمها، ثم ذكر نتائج البحث و المقترحات في الخاتمة، والتي من أهمها: أن قوة تحمل المسؤولية نابعة من الإيمان بالله تعالى، والخوف منه؛ لأنها أمانة وعلى قدر قوة الإيمان تتقوى المسؤولية وتزيد، وأن القلب الممتلئ بالإيمان يعلم بأنه يجب عليه القيام بالمسؤوليات المفروضة عليه، وذلك لعلمه بأن الله تعالى يراه على كل حال وهذه هي مرتبة الإحسان، وقد وصف الله تعالى نبيه يوسف عليه السلام بأنه كان من المحسنين.

الكلمات المفتاحية: المسؤولية، الأمانة، التحمل، التفريط.

Taking Responsibility in the Holy Qur'an
An Objective Study
The Story of Joseph (peace be upon him), as a Model

By: Dalal Bint Suleiman Al-Muslim
Majored in Interpretation and Qur'an Sciences
Department of Islamic Studies
Faculty of Arts
Princess Nourah Bint Abdul Rahman University
Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

This research aims at identifying the meaning of responsibility, clarifying its linguistic and idiomatic meaning and indicating the diverse levels of taking responsibility in the light of the story of Joseph, peace be upon him. The research also highlights the consequences of taking responsibility; be they strong or weak. While writing this research, the researcher follows the objective approach of interpretation as seen in collecting the Qur'anic verses where the meaning of taking responsibility is tacitly present in Surat *Yusuf*, peace be upon him, and in the overall interpretation of the same Surat. In addition, the approach is also applied in the authentic Hadiths quoted in this research. Those Hadiths have been traced to their original sources. Moreover, the texts of the transmitted Hadiths have been put in between quotation marks. If it is the meaning of those Hadiths that the research transmits, only the word is documented; followed by '*Look*'. Eliciting the benefits and consequences of taking responsibility; if there is any soon follows. In the conclusion, the researcher has drawn attention to the findings and recommendations of this research. One of those findings is that the power of taking responsibility stems from believing in Almighty Allah and fearing Him because it is confidential and as far as one's faith is strong; responsibility becomes stronger and increases. In addition, one knows that Almighty Allah sees him, and this embodies benevolence. Allah has described His Prophet *Yusuf*, peace be upon him, as one of those who do good deeds. Responsibility in Islam is a legal and moral duty, and whoever assumes something of it must do it well, clearing his responsibility, and so as not to be unfair to another party, society, or to the nation by not doing so properly.

Key words: responsibility, honesty, endurance, negligence.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مصرف الأمور على ما يشاء ويختار، ومكور النهار على الليل ومكور الليل على النهار، والصلاة والسلام على المصطفى المختار، هادي الأبرار إلى جنات القرار، وعلى آله وصحبه الأطهار، وبعد :

فإن حكمة الله تعالى اقتضت بأن يخلق مخلوقاته في هذا الكون لغاية محددة، وهي عبادته وحده لا شريك له، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] وشملت هذه الحكمة خلق الإنسان المكلف المسؤول ، وأخبر القرآن الكريم عن هذه المسؤولية في العديد من الآيات .

ومن هنا يجب على كل مسلم أن يعرف أنه مسؤول ، لأنه فهم معنى الخلافة والأمانة والعبادة، وقد كان هذا الشعور يملأ قلوب الصحابة رضي الله عنهم ، ومن المفترض أن يكون هذا الشعور في قلب كل مؤمن يخاف الله تعالى ،و يشعر أنه مسؤول عما قدم، وأنه سوف يقف بين يدي الله تعالى، ويسأله عن كل شيء، فمن هنا يبلغ العبد مراتب عليا في الإيمان و الإحسان، وقد مدح الله نبيه يوسف عليه السلام بالإحسان في قوله تعالى :﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٢٢]حيث كان ممن تحمل المسؤولية، وعظّم حقها في قلبه ، وأدّاها كما يجب ، ولنا في رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم والرسل قبله أسوة حسنة، حيث كلفهم الله تعالى بأمانة تبليغ الرسالات السماوية، وفي أوقات متفاوتة ، احتاجت فيه البشرية إلى من ينتشلها من ظلمات الجهالة إلى نور العلم والإيمان .

ومن هنا كان اختياري لهذا البحث للخروج بدراسة قرآنية عن تحمل المسؤولية، وبالتحديد في قصة يوسف عليه السلام، ليكون عنوان البحث (تحمل المسؤولية في القرآن الكريم دراسة موضوعية قصة يوسف عليه السلام أنموذجاً).

مشكلة البحث:

المسؤولية في القرآن الكريم وردت كثيراً بمعناها دون لفظها، وكل مسلم مسؤول أمام

الله تعالى، ويجب عليه أن يتحمل المسـؤولية، ويؤدي الأمانة، ولنا في الأنبياء عليهم السـلام أسوة حسنة، ومن خلال هذه الدراسة نسلط الضوء على درجات تحمل المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام.

حدود البحث:

درجات تحمل المسـؤولية قوةً وضعفاً وآثارها، واستنباط الفوائد، من خلال دراسة وعرض قصة يوسف عليه السلام فقط في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

١- (المسـؤولية والجزاء في القرآن الكريم دراسة موضوعية) رسالة ماجستير في الجامعة الإسـلامية في باكستان، إعداد: سجاد أحمد بن محمد فضل، وهي عبارة عن دراسة موضوعية عن المسؤولية والجزاء بصفة عامة من خلال آيات القرآن الكريم كاملة.

٢- (المسـؤولية والجزاء في الإسـلام) إعداد: علي عبدالواحد وافي، قارن فيها المسـؤولية بالقوانين الوضعية، بدراسة تحليلية وصفية لظواهر المسؤولية.

٣- (المسـؤولية في الإسـلام) إعداد: محمد زكي الدين حجازي، تحدث فيه عن المسـؤولية ومناطها وحدودها بشكل عام، أما هذا البحث فقد خص بالقرآن الكريم.

٤- (المسـؤولية الفردية في القرآن الكريم) رسالة ماجستير في الجامعة الإسـلامية بالمدينة المنورة، إعداد: فرقان الدين، وهي دراسة محدودة عن مسـؤولية المسـلم تجاه نفسه وأسرته والمجتمع، أما هذه الدراسة فهي عن المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام.

٥- (فقه المسـؤولية) إعداد: علي عبدالحكيم، تحدث فيها عن المسـؤولية بصفة عامة، وأبعادها، وحدودها، وعن العمل بمقتضاها من الناحية الفقهية، أما هذا البحث فهو من الناحية التفسيرية.

٦- (حقيقة الإنسان بين المسـؤولية والتكريم) إعداد: عبد العزيز العجمي، تحدث فيها عن جوانب المسؤولية بصفة عامة بعد أن بيّن حقيقة الإنسان، وأنه مكرم مسؤول.

أما هذا البحث فسوف يتناول درجات تحمل المسؤولية قوةً وضعفاً من خلال قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم.

أهمية البحث:

١- بيان عناية القرآن الكريم بالمسؤولية والإشارة إليها في العديد من الآيات.

٢- أن المسؤولية هي أساس التكليف في الحياة البشرية.

٣- حث المسلمين على التدبر، واستنباط الآداب والفوائد من قصص القرآن الكريم.

٤- تأكيداً لأهمية موضوع المسؤولية ، واستشعاراً لهذه الأمانة، فقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم:(كلكم راع ومسؤول عن رعيته ، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته)[١] .

أهداف البحث:

١- التعرف على مدلول لفظ (المسؤولية)، وبيان معناه اللغوي والاصطلاحي.

٢- بيان درجات قوة تحمل المسؤولية في ضوء قصة يوسف عليه السلام.

٣- بيان الآثار المترتبة على تحمل المسؤولية قوةً وضعفاً .

منهج البحث:

منهج استقرائي استنباطي ويسير وفق الإجراءات التالية:

١- جمع الآيات القرآنية التي تحمل معنى المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام، ثم تفسيرها إجمالياً، لبيان معناها، وإيضاح المراد منها، مع ذكر رقم الآية واسم السورة.

٢- الاستشهاد بالأحاديث النبوية الصحيحة، وتخريجها من مصادرها الأصلية، بذكر اسم الكتاب، والباب، ورقم الجزء، والصفحة، ورقم الحديث.

٣- توثيق الكلام المنقول نصاً بين علامتي تنصيص، أما إذا كان الكلام منقولاً بالمعنى أو

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده (١٥٠/٣)،رقم الحديث(٢٥٥٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، (٧٠/٦)،رقم الحديث(١٨٢٩).

تم التصرف فيه بتقديم أو تأخير، فإني أحيل عليه في الحاشية بلفظة: ينظر.

٤- استنباط الفوائد والآثار المترتبة على تحمل المسؤولية من عدمها.

٥- ذكر نتائج البحث والمقترحات في الخاتمة.

٦- وضع فهرس المصادر والمراجع وفهرس موضوعات البحث.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس، وتفصـيلها كالآتي: أما المقدمة: فتتضمن بيان مشكلة البحث، وحدوده، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه.

المبحث الأول: تعريف تحمل المسؤولية لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول: تعريف التحمل لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: تعريف المسؤولية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: المعاني المرادفة للمسؤولية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: درجات تحمل المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام.

المطلب الأول: قوة تحمل المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام.

المطلب الثاني: ضعف تحمل المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام.

المبحث الثالث: آثار تحمل المسؤولية.

المطلب الأول: آثار قوة تحمل المسؤولية.

المطلب الثاني: آثار ضعف تحمل المسؤولية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والمقترحات.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس المحتويات.

المبحث الأول

تعريف تحمل المسؤولية

المطلب الأول: تعريف التحمل لغة واصطلاحاً.

أولاً: التحمل لغة : مشتق من (حمل) الحاء والميم واللام أصل واحد يقال أحملت تحمل إجمالاً، تحمَّلَ يتحمَّل، تحمُّلاً، فهو مُتحمِّل، والمفعول مُتحمَّل (للمتعدِّي) ، وهو يحمل الشيء على ظهره، وتحمَّل الشَّخصُ: استحمل ، تجلَّد وتصبّر [١].

قال تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ۝١٠١﴾ [طه: ١٠٠-١٠١]

ثانياً: التحمل اصطلاحاً: هو الالتزام بأداء المسؤولية والأمانة، والأخذ بشؤونها، والعمل بالواجبات المكلف بها، والصبر على قضائها، وتحمل المشاق، والصعوبات التي يلقاها في طريقه [٢].

المطلب الثاني: تعريف المسؤولية لغة واصطلاحاً:

المسؤولية كلمة حديثة الاستعمال ليس لها وجود في استعمالات فقهائنا الأقدمين، وإنما هي تعبير معاصر استعمله بعض الفقهاء المتأخرين.

أولاً: المسؤولية لغة: ترجع مادة المسؤولية إلى السين والهمزة واللام كلمة واحدة، يقال سأل يسأل سؤالاً ومسألة، واسم الفاعل منه السائل، واسم المفعول: المسؤول، والمصدر: المسؤولية، ويدور معنى سأل حول ما يأتي:(تقول سأله بكذا وعن كذا: استخبره عنه وطلب منه معرفته. وسأله عن كذا: حاسبه عليه وآخذه به. وسأله الشيء: طلبه منه. وسأله الوعد: طلب وفاءه وإنجازه. وسأله: طلب معروفه وإحسانه. وسأله بالله أن يفعل كذا:

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس (٢/ ١٠٦). ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، د أحمد مختار عبد الحميد عمر(١/ ٥٦٢) ، لسان العرب، لابن منظور(١١/ ١٧٢) ، مختار الصحاح ،زين الدين الرازي (١/ ٨١).

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر(١/ ٥٦٢).

أقسم عليه أن يفعل).[١] ، يقال سألته الشيء وسألت عن الشيء سؤالاً ومسألة والأمر منه اســأل، وقد تخفف همزته فيقال :ســال والأمر منه: ســل .ورجل ســؤْلة: كثير الســؤال وتساءلوا: أي سأل بعضهم بعضاً، واسألته ومسألته: أي قضيت حاجته. [٢]

ثانياً: المسؤولية اصطلاحاً: تعددت التعريفات الاصطلاحية لمفهوم المسؤولية ، وكان يقتصر كل تعريف منها على بيان زاوية خاصة من زوايا المسؤولية، ومنها:

١- " هي شــعور الإنســان بالتزامه أخلاقياً بنتائج أعماله الإرادية فيحاســب عليها إن خيراً وإن شراً"[٣].

٢- " هي تحمل الشــخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العلمية من الناحية الإيجابية والســلبية أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضــميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة "[٤].

٣- " المســؤولية هي حالة يكون فيها الإنســان صــالحاً للمؤاخذة على أعماله وملزماً بتبعاتها المختلفة"[٥].

٤- " المسؤولية هي كون الفرد مكلفاً بأن يقوم ببعض الأشياء، وأن يقدم عنها حساباً إلى غيره"[٦].

٥- هي أهلية الشــخص أن يكون مطالباً شــرعاً بامتثال المأمورات، واجتناب المنهيات ومحاسباً عليها"[٧].

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ،لمحمد بن محمد الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي (١٦٠/٢٩).

(٢) ينظر: لسان العرب ، لابن منظور(٣١٨/١١).

(٣) المعجم الفلسفي، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (٦٧).

(٤) التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، (٣٣١).

(٥) موســوعة نضــرة النعيم في مكارم أخلاق الرســول، مجموعة من المؤلفين، بإشــراف د. صــالح بن حميد(٢٤٠٠/٨).

(٦) المسؤولية في الإسلام، محمد عبدالله دراز، (٨،٧).

(٧) المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، د. أحمد عبدالعزيز الحليبي(٧١).

المطلب الثالث: المعاني المرادفة للمسؤولية في القرآن الكريم

لم ترد كلمة (مسؤولية) في القرآن الكريم بهذا اللفظ، ولكن وردت كثيراً بالمعنى، بل هي من أكثر المعاني تكراراً في القرآن الكريم على الإطلاق، فالشرع الحنيف - يعد كل ما يجب على العبد أداؤه تجاه نفسه أو ما يجب عليه أداؤه تجاه بني جنسه، بل ما يجب عليه أداؤه تجاه غير بني جنسه من الدواب وغيرها- مسؤولية، ومن ذلك :

١- وردت المسؤولية بمعنى الخلافة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] أي: إني جاعل في الأرض أقواماً يخلف بعضهم بعضاً في القيام بإمضاء الأحكام والأوامر.(١)

٢-وردت المسؤولية بمعنى الأمانة، قال تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢]. فهذه الآية تدل على المسؤولية بمعناها العريض، فقد جاءت عبارة الأمانة في هذه الآية بمعنى المسؤولية تماماً.

٣-وردت المسؤولية بمعنى العهد، قال تعالى:﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [سورة الإسراء:٣٤] هنا مسؤولية الإنسان عما يقطعه على نفسه من العهود ،ويلزم به نفسه من المواثيق مع الآخرين.

٤- وردت المسؤولية بمعنى التكليف بعبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وغيرها من الآيات القرآنية التي تأمر بالعبادة.

٥-وردت المسؤولية بمعنى السؤال والمحاسبة، قال تعالى:﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ

(١) ينظر: تفسير ابن كثير(١/١٠٩).وينظر: تفسير القرطبي (١/٢٦٣).

وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الأعراف:٦]

قال السـدي : (فلنسـألن الأمم ما عملوا فيما جاءت به الرسـل؟ ولنسـألن الرسـل: هل بلغوا ما أرسـلوا به.) فهذه الآية تدل على أن المحاسـبة على المسـؤولية تعم الرسـل ،والمرسـل إليهم ،كلٌ حسب ما ألقي عليه من التبعات والمسؤوليات[١].

(١) جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، (٣٠٦/١٢)

المبحث الثاني

درجات تحمل المسؤولية في ضوء قصة يوسف عليه السلام

سورة يوسف هي إحدى السور المكية التي نزلت في مكة وفي تلك الفترة الحرجة -بين عام الحزن بموت أبي طالب وخديجة سندي الرسول صلى الله عليه وسلم- وبين بيعة العقبة الأولى ثم الثانية التي جعل الله تعالى فيها لرسوله ولدعوته فرجاً، ومخرجاً بالهجرة إلى المدينة.

وقد أفردت السورة الحديث عن قصة نبي الله يوسف بن يعقوب عليه السلام، وسميت أحسن القصص لما فيها من العبر، والحكم، والفوائد التي تصلح للدين والدنيا، من سير الملوك والمماليك، والعلماء، ومكر النساء، والصبر على أذى الأعداء، وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء، وغير ذلك من الفوائد. (١)

والمقصود منها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بسبب ما مر به من الضيق و الشدة، وما لاقاه من أذى القريب والبعيد، وفيها تسلية لكل محزون، قال عطاء رضي الله عنه :"لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها" (٢)

"وذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل" (٣) .

المطلب الأول: قوة تحمل المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام.

المسألة الأولى: مسؤولية الصبر وقوة التحمل عند الشدائد.

أولاً: قوة تحمله لأذى إخوته حين ألقوه في غيابت الجب فأوحى الله إليه بالثبات :

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم

(١) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (٤/ ٢١٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩/ ١١٨).

بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٥] لما عزم إخوة يوسف على الكيد به، وأن يلقوه في غيابة الجب، نادى الله نبيه يوسف عليه السلام بالوحي ، لتصدقن رؤياك، ولتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا، وهم لا يشعرون بوحي الله تعالى له ، وهذا من لطف الله تعالى، ورحمته ،وإنزاله اليسر في حال العسر، أنه أوحى إلى يوسف في ذلك الحال الضيق؛ تطييباً لقلبه وتثبيتاً له، إنك لا تحزن مما أنت فيه، فإن لك من ذلك فرجاً، ومخرجاً حسناً، وسينصرك الله عليهم ،ويعليك، ويرفع درجتك ،وستخبرهم بما فعلوه معك (وهم لا يشعرون) بإيحاء الله إليك.(١)

ثانياً: قوة تحمل يعقوب عليه السلام وصبره على فقد ابنيه يوسف وبنيامين.

قال تعالى: ﴿ وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨] أي: لما رجع إخوة يوسف من الصحراء ، بعد ما فرطوا بأخيهم يوسف ،وجاؤا بقميصه وعليه آثار دم كذب، قال يعقوب عليه السلام: بل زينت لكم أنفسكم هذا الأمر في التفريق بيني وبينه، لم يكن الأمر كما وصفتم وادعيتم، وإنما سولت لكم أنفسكم أمراً فنفذتموه، فأمري صبر جميل لاجزع فيه، ولا شكوى لغير الله.﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾و أطلب العون من الله على ما تذكرونه من أمر يوسف من الكذب (٢) .

وقد صبر يعقوب عليه السلام أيضاً عند فقد ابنه بنيامين ، مع أنه حرّص إخوته ، ولكنهم ضيعوا الأمانة، فقال لهم:﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٨٣]

أي زينت لكم أنفسكم أَمْراً أردتموه، فاشتد حزنه وتضاعف كمده، وقال(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) لا شكوى فيه ولا جزع (فعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً)يوسف وبنيامين وأخيهما

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري (١٥/ ٥٧٥) ، معالم التنزيل ، للبغوي (٢/ ٤٧٩) ، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير(٤/ ٣٢١).

(٢) ينظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ١٥)، أيسر التفاسير،للجزائري (٢/ ٦٠٠)

المقيم بمصر، إنه هو العليم بحزني ووجدي على فقدهم، الحكيم في تدبير خلقه [١].

المسألة الثانية: الحفاظ على الدين أمام فتن الشهوات:

تظهر قوة تحمل المسؤولية في الحفاظ على الدين لدى يوسف عليه السلام أمام مواجهة امرأة العزيز التي راودته عن نفسه، وأمام كيد النساء، وهذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف عليه السلام من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً؛ لأنه صبر اختيار، مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوع الفعل، فقدم محبة الله وتقواه عليها، وأما محنته مع إخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض التي تصيب العبد بغير اختيار، وليس له ملجأ إلا الصبر عليها طائعاً كارهاً.

أولاً: تحمل مسؤولية الحفاظ على الدين أمام امرأة العزيز:

قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]

يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر، وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه، فراودته عن نفسه، أي حاولته على نفسه ودعته إليها، وذلك أنها أحبته حباً شديداً؛ لجماله وحسنه، فحملها ذلك على أن تجملت له، وغلقت عليه الأبواب، ودعته إلى نفسها، وقالت هيت لك، فامتنع من ذلك أشد الامتناع، وقال (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي) وكانوا يطلقون الرب على السيد الكبير، أي إن بعلك ربي أحسن مثواي أي منزلي، وأحسن إلي فلا أقابله بالفاحشة في أهله، فهذا من أعظم الظلم، والظالم لا يفلح. [٢]

ثانياً: تحمل مسؤولية الحفاظ على الدين أمام نسوة المدينة

قال تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٢-٣٣] لما سمعت امرأة العزيز بمكر نسوة

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٥/ ٢٤٦)، معالم التنزيل، للبغوي (٤/ ٢٦٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٢٥).

المدينة لها، ولومها على صـنيعها، دعتهن إلى منزلها للضـيافة، وهيأت لهن محلاً بأنواع من الفرش والوسـائد، وأحضـرت طعام يحتاج إلى سـكين، و طلبت من يوسـف عليه السـلام الدخول عليهن، فلما رأينه أعظمنه في صـدورهن، إعجاباً و دهشـة ، وقطعن أيديهن بالسكاكين، وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم؛ لشدة حسنه و جماله. ثم قالت لهن :﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ أي: لمتنني في الافتتان به قبل أن تتصورنه حق تصوره، ولو تصـورتنه بما عاينتن لعذرتنني.(ولقد راودته عن نفسـه فاسـتعصـم)أي: فامتنع طلباً للعصـمة (ولئن لم يفعل ما آمره ليسـجنّ وليكوناً من الصـاغرين) ،أي: من الأذلاء، تريد الحصول على مقصودها منه ، فعند ذلك اعتصم يوسف عليه السلام بربه، واستعان به على دفع كيدهن ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ وهنا دعا يوسف عليه السلام ربه، فقال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه من الفاحشـة ،وإلا تصـرف عني كيدهن أمِل إليهن ،وأكن من الجاهلين، فاستجاب له ربه، وصرف عنه كيد النساء، واختار السجن على ذلك، خوفاً من الله، ورجاءً لثوابه[1] .

المسألة الثالثة: تحمل مسؤولية العلم وتبليغه :

أولاً: تحمل مسؤولية تبليغ علم تأويل الرؤى.

من الهبات التي امتن الله بها على يوسف عليه السلام إلمامه بعلم تأويل الرؤى، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ ﴾ [يوسف: ٢١] ،أي وكما يسـرنا له أن يشـتريه عزيز مصـر، ويكرمه هذا الإكرام، جعلنا هذا مقدم لتمكينه في الأرض، ولنعلمه-حيث لا شغل له ولا هم- سوى العلم، وصار ذلك من أسباب تعلمه علماً كثيراً من علم الأحكام وعلم تأويل الرؤى و غيرها، وقد اعترف يوسـف عليه السـلام بهذه

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٣/ ١٦٢) ، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٣١).

النعمة في آخر القصة فقال: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقد ذكرت في سورة يوسف روايتان في تأويله للرؤى، قال تعالى:﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾يوسف:٣٦}، بعد قصة نسوة المدينة وامرأة العزيز آثر يوسف عليه السلام السجن على أن يقع في فتنة النساء، ودخل معه السجن شابان من عبيد الملك ، فرأى كل واحد منهما رؤيا، فقص كل واحد منهما رؤياه على يوسف ليعبرها، فقال أحدهما إني أرى أي في المنام (أَعْصِرُ خَمْراً)أي: عنباً، وسماه خمراً باعتبارِ ما يؤول إليه. وقال الآخر(إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ) أي: تنهش منه نبئنا بتفسيره، وما يؤول إليه أمرهما ، إنا نراك من أهل الإحسان فتوسلا إلى يوسف بإحسانه.(١) ففسر لهما الرؤيا، فقال:﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ فلتطمئن قلوبكما، فإني سأبادر إلى تعبير رؤياكما، فلا يأتيكما غداؤكما، أول ما يجيء إليكما، إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما. ولعل يوسف عليه السلام قصد أن يدعوهما إلى الإيمان-في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه-وإلى التوحيد، ويرشدهما إلى الطريق القويم قبل أن يجيبهما إلى ما سألاه منه كما هي طريقة الأنبياء في الهداية والإرشاد، فقدم ما يكون معجزة له، من الإخبار بالغيب؛ ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير.

ثانياً: تحمل مسؤولية تبليغ رسالة الدين

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ٣٨]

حمل يوسف عليه السلام لواء ملته، وتبليغ ملة آبائه، إبراهيم وإسحاق ويعقوب

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي (٣/ ١٦٣) ، تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي (ص/٣٩٧).

عليهم السلام ، وصبر في سبيل تمكينها، ونشرها، فقال: سلكت طريق هؤلاء المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى، واتبع المرسلين فإنه يهدي قلبه، ويعلمه ما لم يكن يعلمه، ويجعله إماماً يقتدى به في الخير ، ما يصح لنا أن نشرك بالله غيره ، وهو المنفرد بالوحدانية ، ذلك التوحيد والإيمان الذي أنا عليه و آبائي هو من فضل الله علينا أن وفقنا له ، ومن فضله على الناس جميعاً ،حين بعث إليهم الأنبياء به، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه، بل يكفرونه.(١) .

المسألة الرابعة : تحمل مسؤولية الرعية:

أولاً: تولى يوسف عليه السلام خزائن مصر(وزير)

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٦]

لما تحقق الملك والناس من براءة يوسف عليه السلام، وتثبت من أمانته، وفهم أيضاً صبره وجلده، عظمت منزلته عنده، فأرسل إليه يطلبه ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ أجعله خالصاً لنفسي، ومقرباً لدي، فأتوا به مكرماً محترماً. فلما جاءه وكلّمه قال:(إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ) أي: أصبحت اليوم ذو مكانة ومنزلة رفيعة، أمين مؤتمن. فطلب يوسف عليه السلام من الملك أن يوليه على حفظ خزائن أرض مصر، ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾فقال له: إني أمين على الأموال والأقوات، وكيل حافظ مدبر ، ذو علم وبصيرة بما أتولاه. وليس ذلك حرصاً من يوسف عليه السلام على الولاية، وحب الدنيا والرياسة، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، ابتغاء وجه الله تعالى.

وكما منّنا على يوسف بالبراءة، والخلاص من السجن، منّا عليه بالتمكين له مصر ، ينزل ويقيم في أي مكان شاء ، نعطي من رحمتنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم

(١) ينظر: جامع البيان في أحكام القرآن ، للقرطبي (٩/ ١٩١) ، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٨٩).

من نشاء من عبادنا، ولا نضيع ثواب المحسنين بل نوفيهم إياه كاملاً [١].

ثانياً: تحقيق مسؤولية العدالة من الراعي:

العدل أمانة في عاتق الراعي يؤديه تجاه رعيته، و تجلت في أخلاق يوسف عليه السلام عندما تولى خزائن مصر ، وصار القاصي والداني يأتون إليه في السنين العجاف كي يكتالوا منه، وفي ذلك الوقت أراد إخوته أن يكتالوا من عنده، ولما أكرمهم ورجعوا إليه مرة أخرى كي يحصلوا على الزاد ، قام بتدبير الحيلة التي يتوصل بها إلى ضم أخيه الشقيق إليه، فجعل السقاية-وهي كأس الملك المرصع بالجواهر-في رحل أخيه ، كي يصبح متهماً بالسرقة، ورفض أن يأخذ أحداً من أخوته مكان أخيه الجاني ،والسارق في ملتهم يكون عبداً في ذمة المسروق منه. قال يوسف عليه السلام لإخوته:﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ [يوسف: ٧٩] ، أي: أعوذ بالله، أن أظلم بريئاً، فأمسك غير الذي وجدت صواع الملك في رحله لمصلحته ورضاه عليه ، فلو أخذت غيره كنت ظالماً.[٢]

المسألة الخامسة : مسؤولية الحفاظ على العلاقات الأسرية :

أولاً: مسؤولية الحفاظ على أخيه بنيامين:

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴾ [يوسف: ٥٩] أي لما حمل لكل رجل منهم بعيراً بعدتهم، وكال لهم كما كان يكيل لغيرهم ، وكان من تدبيره الحسن أن لا يكيل لكل واحد منهم أكثر من حمل بعير، وكان قد سألهم عن حالهم، فأخبروه أن لهم أخاً عند أبيهم ،فطلب منهم أن يحضروه-يعني بنيامين-ثم رغبهم في الإتيان به فقال: (أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ) أي لا أبخس الناس شيئاً، وأتم لهم كيلهم ، فأزيد لكم حمل بعير في خراجكم، وأكرم مثواكم، وأحسن إليكم، وأنا

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٣/ ٢٥٥)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/ ١١٨-١١٩)

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٦/ ٢٠٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٣/ ١٧٢)

خير المنزلين المضيفين، وكان قد أحسن ضيافتهم. [1] ثم لما رجعوا قال تعالى: ﴿يدَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَٔيِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩]

يخبر تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام لما قدموا عليه، ومعهم أخوه الشقيق بنيامين، وأدخلهم دار كرامته ومنزل ضيافته، وأفاض عليهم الصلة والإلطاف والإحسان، واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه وما جرى له، وعرفه أنه أخوه، وقال له: لا تحزن بما فعلوا بنا فيما مضى، فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا بخير [2]

ثانياً: مسؤولية كتمان السر وكظم الغيظ للمحافظة على علاقته بإخوته:

قال تعالى:﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧]

عندما بدأ يوسف عليه السلام يفتش عن صواع الملك في رحالهم، وذلك لتزول الريبة أنها فعلت بالقصد، ثم استخرجها من وعاء أخيه، ولم يقل وجدها، مراعاةً للحقيقة الواقعة، فحينئذٍ تم ليوسف ما أراد من بقاء أخيه عنده، على وجه لا يشعر به إخوته، ثم قالوا: إن سرق هذا الأخ، فليس هذا غريباً منه، فقد سرق أخوه من قبل -يعنون أخاه لأبيه وأمه- وهو يوسف عليه السلام، و مقصودهم تبرئة أنفسهم ، وأن هذا وأخاه قد يصدر منهما ما يصدر من السرقة، وهما ليسا شقيقين لنا.

فلم يرد عليهم، ولم يدافع عن نفسه، وفي هذا من الغض عليهم ما فيه، ولهذا: أسرها يوسف في نفسه و لم يقابلهم على ما قالوه بما يكرهون، بل كظم الغيظ، وأسرَّ الأمر في نفسه، و قال في نفسه أنتم شرُ مكاناً ومنزلاً حيث ذممتمونا بما أنتم على أشر منه، والله أعلم بوصفكم لنا وافترائكم علينا بالسرقة، ونحن بريئون منها. [3]

(١) ينظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن، للثعلبي (٥/ ٢٣٥) ، معالم التنزيل، للبغوي (٢/ ٥٠٠).
(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٤٣) ، صفوة التفاسير، للجزائري (٢/ ٥٦)
(٣) ينظر: جامع البيان ، للطبري (١٦/ ١٩٤) ، تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي (ص: ٤٠٣).

ثالثاً: مسؤولية البر وإكرام والديه حين قدموا على مصر:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠]

(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) أي أجلسها معه على سرير ملكه، تكريماً لهما (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً) أي سجد له أبوه وإخوته الباقون، وكانوا أحد عشر، تحية وتكرمة له، وكان السجود عندهم للكبير يجري مجرى التحية عندنا، وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام، فحرم هذا في شريعتنا، وجعل السجود مختصاً بجناب الرب سبحانه وتعالى.

وَقالَ يا أَبَتِ هذا أي السجود تعبير رُءيايَ التي رأيتها أيام الصبا، وهي سجود أحد عشر كوكباً والشمس والقمر قد جعلها ربي صدقاً مطابقاً للواقع.(١)

وقد أحسن الله تعالى إلى يوسف عليه السلام إحساناً جسيماً حيث أخرجه من السجن ، وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي، ولم يقل أحسن بكم حين جاء بكم من الجوع والنصب، وهذا من كمال إحسانه ولطفه وبره بوالديه وأهله.

من بعد أن نزغ أي أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي بالحسد، فلم يقل "نزغ الشيطان إخوتي" بل كأن الذنب والجهل صدر من الطرفين، وأسنده إلى الشيطان لأنه بوسوسته وإلقائه. ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[يوسف:١٠٠] أي لطيف التدبير له، والرفق به، إنه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم في أفعاله وأقضيته.(٢)

(١) ينظر: محاسن التأويل ، للقاسمي (٦/٢٢٠)، الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٩/١٨٩).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٣/١٧٧).

المطلب الثاني: ضعف تحمل المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام

ضـــعف تحمل المســـؤولية يعني عدم القيام بها، أو القيام بها مع التفريط، و عدم الحرص وهذا ما فعله أخوة يوســف عليه الســلام ،في تعاملهم مع أبيهم ،وأخوتهم ، ويتمثل ذلك فيما يلي:

المسألة الأولى: تفريط الإخوة بيوسف عليه السلام لحقدهم عليه

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [يوسف: ٧]

لقد كان في قصـة يوسـف وخبره مع إخوته آياتٌ ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته، أو علامات على نبوتك .﴿ لِلسَّـــائِلِينَ ﴾ أي: لمن ســـأل عن قصـــتهم، وفيها عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك، المستخبرين عنه، فإنه خبر عجيب، يستحق أن يستخبر عنه [١] .

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف: ٨]. ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ ﴾ أي: من أمه، يريدون به: أخاه الشقيق- وهو أصغر من يوسف- ويقال له: بنيامين، وقيل: كان شقيق يوسف وكانت أمهما قد ماتت.

﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ أي: ونحن جماعة تضـــر وتنفع، وتحمي وتخذل، ولنا ينبغي أن تتوجه المحبة والمراعاة. و (العصـــبة) في اللغة: الجماعة، قال الزجاج: هم الجماعة الذين أمرهم واحد، يتابع بعضـهم بعضـاً في الفعل، ويتعصـب بعضـهم لبعض. قيل: هي من عشرة إلى خمسة عشر، ولا يقال لأقل من عشرة: عصبة.[٢]

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: لفي اختلاف وخطأ في محبة يوسف وأخيه، وهذا هو معنى الضلال، وإنما يصغر قدره أو يعظم بحسب الشيء الذي فيه يقع الاختلاف، و(مبين) معناه: أي يظهر للمتأمل [٣] .

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي (٣/ ١٥٦)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٢).

(٢) معاني القرآن، الزجاج (٣/٩٣).

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري (١٥/ ٥٦٢)، المحرر الوجيز في تفسـير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي (٣/ ٢٢١).

المسألة الثانية: تآمر إخوة يوسف عليه السلام من أجل إبعاده عن أبيه

قال تعالى: ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ [يوسف:٩]

يتآمرون على قتل يوسف أو طرحه في أرض بعيده، يبعد به عن أبيه ،وقيل: أرضاً تأكله فيها السباع. ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي: يصفُ لكم وجه أبيكم ، ويفرغ لكم من الشغل بيوسف، فيقبل بكليته عليكم ،ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ،ولا ينازعكم في محبته أحد.

﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد يوسف ،أو الفراغ من أمره ،أو قتله ،أو طرحه.

﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ فيها قولان: أحدهما: صالحين بالتوبة من بعد قتله، قاله ابن عباس. والثاني: يصلح حالكم عند أبيكم، قاله مقاتل. وفي قصتهم نكتة عجيبة، وهو أنهم عزموا على التوبة قبل الذنب.[1]

ثم بعد ذلك ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [يوسف: ١٠] أي: لا تصلوا في عداوته وبغضه إلى قتله، فإن قتله أعظم إثماً وأشنع، والمقصود يحصل بتبعيده عن أبيه من غير قتل، ولكن توصلوا إلى تبعيده، بأن تلقوه في غيابة الجب وهو أسفله وقعره، وتتوعدوه على أنه لا يخبر بشأنكم، بل على أنه عبد مملوك آبق منكم. ﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ أي: المارة من المسافرين الذين يسيرون في الأرض، فتستريحوا بهذا، ولا حاجة إلى قتله، إن كنتم عازمين على ما تقولون، وقيل: إن كنتم فاعلين بمشورتي.

وهذا القائل أحسنهم رأياً في يوسف، وأبرهم وأتقاهم في هذه القضية، فإن بعض الشر أهون من بعض، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل، والله تعالى كان يريد أمراً لا بد من إمضائه وإتمامه، من الإيحاء إليه بالنبوة، ومن التمكين له ببلاد مصر والحكم بها، فصرفهم الله عنه بما قاله أخوهم [2].

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري (١٥/ ٥٦٣-٥٦٤) ، زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين الجوزي (٢/ ٤١٥) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٣/ ١٥٦).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٢) ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي (ص: ٣٩٤) .

المسألة الثالثة: عقوق إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم باحتيالهم وكذبهم عليه

قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾[يوسف: ١١]

وهنا وقف الأخوة موقف المسؤولين تجاه أخيهم يوسف عليه السلام ، فقالوا :﴿يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي :لأي شيء يدخلك الخوف منا على يوسف فترسله معنا، فإنه قد كبر ،ولا يعلم شيئاً من أمر المعاش ، وهذه توطئة وسلف ودعوى، وهم يريدون خلاف ذلك؛ لما له في قلوبهم من الحسد له لحب أبيه له أكثر منهم.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ أي: مشفقون عليه نود له ما نود لأنفسنا. وهذا يدل على أن يعقوب عليه السلام لا يترك يوسف يذهب مع إخوته غالباً، فلما نفوا عن أنفسهم التهمة المانعة من عدم إرساله معهم، ذكروا له مصلحة يوسف وأنسه بالمجيء معهم، فقالوا :﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢]

﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾ أي : يتسعْ في أكل الفواكه ونحوهما، فإن الرتع هو الاتساعُ في الملاذ ، وقيل يتنزه في البرية، ويلعب ،وينسب اللعب إلى يوسف لصباه، ولعبهم هذا داخل في اللعب المباح ،والمندوب كاللعب بالخيل، والرمي، وعللوا طلبه والخروج به بما يمكن أن يستهوي يوسف لصباه من الرتوع واللعب والنشاط.[1]

وأظهر إخوة يوسف أمام والدهم تحمل كامل المسؤولية عن أخيهم، فقالوا :﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ : أي سنراعيه من أن يناله مكروه، ومن كل ما تخاف عليه، وأكدوا مقالتَهم بأصناف التأكيدِ من إيراد الجملة الإسمية، وتحليتها بإنّ واللام ،وإسناد الحفظ إليهم كلهم وتقديم (له) الضمير المنسوب إليهم على الخبر، احتيالاً في تحصيل مقصدهم[2] .

ثم قال أبوهم: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٣) ، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٢/ ٤١٧) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي (٣/ ١٥٧).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٩/ ١٤٠)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود (٤/ ٢٥٧) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، للثعالبي (٣/ ٣١٣).

غَٰفِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٣] أي : ليحزنني أن تذهبوا به معكم إلى الصحراء، لشدة مفارقته عليّ، وقلة صبري عنه ، ومخافة عليه من الذئب أن يأكله، وأنتم عنه غافلون لا تشعرون(١).

قال تعالى:﴿ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [يوسف: ١٤]

أي: لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيننا، ونحن جماعة، إنا إذاً لهالكون عاجزون، ضعفاً وعجزاً، أو مستحقون للهلاك لعدم الاعتداد بنا، وانتفاء القدرة على أيسر شيء وأقله، أو مستحقون لأن يدعى علينا بالخسار والدمار .

فلما مهدوا لأبيهم الأسباب الداعية لإرساله، وعدم الموانع، سمح حينئذ بإرساله معهم لأجل أنسه (٢) .

المسألة الرابعة : استعمال الكذب والبكاء لتصديق مكرهم

قال تعالى:﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ [يوسف:١٦-١٧]

قال تعالى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾ أي: جاءوا في وقت العشاء، متأخرين عن عادتهم، يتباكون ترويجاً لمكرهم، وليكون دليلاً على صدقهم، فقالوا: معتذرين بعذر كاذب (إنا ذهبنا نستبق) بالأقدام، وقيل بالرمي، وتركنا يوسف عند متاعنا توفيراً له وراحة (فأكله الذئب) في حال غيبتنا واستباقنا ، وما أنت بمصدق لنا؛ لما في قلبك من الحزن على فراقه ،والمحبة الشديدة له، وأكدوا خبرهم بحيلة قميص يوسف الذي كان ملطخاً بدم غير دمه ، موهمين أباهم أنه أكله الذئب. (٣)

المسألة الخامسة : المراودة والتحايل لتنفيذ خططهم

قال تعالى:﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾ [يوسف: ٦١] أي سنطلب أخانا بنيامين من أبيه، ونجتهد في ذلك، وإنا لفاعلون ما أمرتنا به من غير تقصير. وقالوا أيضاً:﴿

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (١٥/ ٥٧٣) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي (٣/ ١٥٧).
(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٣) ، تفسير ابن كثير(٤/ ٣٧٣) ، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص/ ٣٩٤).
(٣) ينظر: أنوار التنزيل ، للبيضاوي (١٥٨/٣) ،تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي (ص٣٧٠).

فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [يوسف: ٦٣] أي: لما رجعوا إلى أبيهم يعقوب عليه السلام ، وقصوا عليه ما كان من إكرام يوسف لهم ،قالوا : يا أبانا منع منا الكيل إن لم نأت بأخينا معنا ، فابعثه معنا نكتل الطعام ، وإنا لنتعهد لك بحفظه حتى يرجع إليك سالماً.

ويحاول الأخوة إقناع أبيهم ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴾ [يوسف: ٦٥] أي: لما فتحوا أوعية طعامهم الذي جلبوه من مصر، وجدوا ثمنه رد إليهم، فقالوا لأبيهم: أي شيء نطلب من هذا العزيز بعد هذا الإكرام! وهذا ثمن طعامنا رده العزيز تفضلاً منه علينا، ونجلب الطعام لأهلنا، ونحافظ على أخانا، ونزداد كيل بعير بسبب اصطحابه، وهذا الأمر يسير سهل على العزيز.(١)

لكن يعقوب عليه السلام خاف على ابنه بنيامين من اخوته ؛لأنهم مفرطون في الأمانة، ولأنه جربهم سابقاً في تفريطهم في يوسف وتضييعهم له، فخاف أن يتكرر الفقد على قلبه الذي لا يقوى، فقال: ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤] وحملهم هذه الأمانة، وهي مسؤولية الحفاظ على أخيهم، حتى يرجع إليه سالماً، ولم يوافق على طلبهم هذا حتى أخذ عليهم العهد والميثاق أن يحافظوا عليه، ويرجعوه، فقال: ﴿ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴾ [يوسف: ٦٦]

(١) ينظر: معالم التنزيل ، للبغوي(٢/٤٣٥-٤٣٦)

المبحث الثالث

آثار تحمل المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام

المطلب الأول: آثار قوة تحمل المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام

وبعد هذا العرض المجمل لقصة يوسف عليه السلام وتمكينه في الأرض تبين لنا قوة تحمل المسؤولية لديه، وتتضح في عدة جوانب منها:

أولاً: مسؤولية الدين من حيث الحفاظ عليه وتبليغه، وهي من أهم المسؤوليات التي كلف بها الأنبياء، ومنهم يوسف عليه السلام، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف:٣٢].

ثانياً: ترتيب الأولويات في المسؤوليات أمر مهم في حياة المسلم، فلا بد أن يقدم الأهم على المهم، ويوسف عليه السلام قدم الحفاظ على علاقته بأخوته على الدفاع عن نفسه﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ [يوسف: ٧٧]كما قدم الدعوة إلى الله وتوحيده في السجن على تفسير الرؤى للفتيين ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: ٣٩]

ثالثاً: مسؤولية تبليغ العلم في علم تأويل الأحاديث، وفيه يظهر كمال علم يوسف عليه السلام في حسن تعبير الرؤى، ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٣٧]

رابعاً: مسؤولية الراعي عما تحت يده، ويوسف عليه السلام تحمل ذلك بجدارة عندما أصبح وزيراً على خزائن مصر، وقال له عزيز مصر ﴿ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف:٥٤-٥٥].

خامساً: مشروعية الضيافة وإكرام الضيف، وأنها من سنن المرسلين، قال يوسف عليه السلام: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [يوسف: ٥٩].

سادساً: مسؤولية العدل: وهي أمانة في عاتق الراعي تجاه رعيته، وظهرت في قصة يوسف عليه السلام حين دبر الحيلة التي يتوصل بها إلى أخيه الشقيق، حيث جعل السقاية في رحل أخيه، فأصبح متهماً فأخذه عنده، ورفض أن يأخذ أحداً من إخوته مكان أخيه الجاني ، ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ [يوسف: ٧٩]

سابعاً: البر بالوالدين وإكرامهما ، والمحافظة على الأسرة ، فيوسف عليه السلام أكرم والديه وإخوته حين قدموا على مصر ، ﴿ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف:٦٩] ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ ﴾ [يوسف: ١٠٠] .

ثامناً: الحفاظ على العلاقات ، وذلك ناتج عن تحمل مسؤولية كتمان السر وكظم الغيظ، للمحافظة عليها، ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ ﴾[يوسف:٩٩]حين اتهموه بالسرقة كما اتهموا أخاه الشقيق (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل).

تاسعاً: التحلي بالصبر وأنه مفتاح الفرج ، وأن من يتق الله يجعل له مخرجاً، ويجعل له من أمره يسراً، فيوسف لَمَّا صبر واتقى، عوضه الله من قعر الجب إلى قصر العزيز، ومن ضيق السجن إلى سعة الوزارة والنفوذ، يتبوأُ من الأرض حيث يشاء، هذا مع ما ادَّخر الله له من جزيل الثواب في الآخرة، فكل خير في الدنيا والآخرة هو من آثار الصبر والتقوى ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠]

عاشراً: تمام اليقين بالله تعالى ، والثقة بوعده، ونصرته، قال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٨٣].

المطلب الثاني: آثار ضعف تحمل المسؤولية.

آثار ضعف تحمل المسؤولية عند إخوة يوسف عليه السلام

من خلال عرض قصة أخوة يوسف عليه السلام وطريقة تعاملهم، نستنبط عدة آثار، أبرزها:

أولاً: السمة التي تكررت لدى أخوة يوسف عليه السلام هي تعمد التفريط في المسؤولية.

ثانياً: خطورة الحسد والذي جر إخوة يوسف عليه السلام إلى الكيد به، والمؤامرة على قتله، قال تعالى على لسانهم ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٩]

ثالثاً: الحقد الدفين الذي أعمى قلوب إخوة يوسف عليه السلام، والذي ظهر بعد تدبيره لقصة (صواع الملك)، وما إن رأوا هذا التدبير وهم لا يعلمون ما وراءه حتى انفجر حقدهم الدفين والقديم على يوسف:﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ ﴾ [يوسف: ٧٧]

رابعاً: التفريق بين الإخوة وأبيهم، حيث أبعدوا يوسف عليه السلام عن أبيه، ومن ثم أخاه بنيامين، بينما ديننا يدعو إلى الود والاجتماع وصلة الأرحام.

خامساً: عقوق الوالدين، وهذه من كبائر الذنوب ، وقد ذكر إخوة يوسف عليه السلام ذنبهم، وطلبوا استغفار أبيهم لهم ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧﴾ [يوسف: ٩٧]

سادساً: الكذب والخداع والحيلة، وهذه السمات تنبع من ضعف تحمل المسؤولية، وقد استعملها اخوة يوسف عليه السلام حتى يبعدوا أخاهم ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾[يوسف: ١٨]

سابعاً: أن بعض الشر أهون من بعض، وارتكاب أخف الضررين أولى من ارتكاب أعظمهما،

فإن إخوة يوسف لما اتفقوا على قتله، أو إلقائه أرضاً ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ [يوسف: ١٠]، كان قوله أحسن منهم وأخف، وبسببه خف عن إخوته الإثم الكبير.

الخاتمة

من خلال استعراض درجات تحمل المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام، بشقيها: القوي والضعيف، نخلص إلى النتائج التالية:

- أن قوة تحمل المسؤولية نابعة من الإيمان بالله تعالى، والخوف منه، لأنها أمانة وعلى قدر قوة الإيمان تتقوى المسؤولية وتزيد .
- القلب الممتلئ بالإيمان يعلم بأنه يجب عليه القيام بالمسؤوليات المفروضة عليه، وذلك لعلمه بأن الله تعالى يراه وهذا هو الإحسان، ولقد وصف الله نبيه يوسف عليه السلام بأنه كان من المحسنين.
- العاقبة الحسنة والثواب الجزيل الذي أعده الله تعالى لمن تحمل المسؤولية، وأدى الأمانة ولنا في رسولنا والأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام أسوة حسنة.
- المسؤولية في الإسلام واجب شرعي وأخلاقي، يجب على كل من تحمل شيئاً منها أن يقوم بها خير قيام، براءة لذمته، وحتى لا يكون ظالماً لطرف آخر، أو للمجتمع، أو للأمة بتقصيره ذلك، فهي أمانة يتحملها المسلم، وسيسأل عنها يوم القيامة.

المقترحات:

١- ضرورة العناية بهذا الخلق الحسن، وغرسه في نفوس النشء، حتى يكون تطبيقه عملياً على أرض الواقع، فيشعر كل فرد في المجتمع بمسؤوليته تجاه نفسه، وتجاه الآخرين، وذلك من خلال مناهج التدريس، أو مجالس الوعظ والإرشاد، أو وسائل التواصل الاجتماعي.

٢-على الرغم من كثرة الأبحاث في الأخلاق الحميدة إلا أنه ينبغي التركيز على الجانب العملي منها، وربطها بالواقع، وإدخاله مع الأنشطة في وسائل التعليم، وتوجيه وسائل التواصل الاجتماعي.

المصادر والمراجع

١. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٠م.

٢. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله الشيرازي البيضاوي(المتوفى٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١،١٤١٨هـ

٣. **تاج العروس من جواهر القاموس**، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، الناشر: دار الفكر ، بيروت، ط: ١٤١٤/١هـ

٤. **التربية الأخلاقية الإسلامية**، مقداد يالجن، ط الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.

٥. **تفسير البغوي** المسمى **معالم التنزيل**، للإمام الجليل أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، (المتوفى سنة٥١٦هـ)،إعداد وتحقيق: خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٦. **تفسير القرآن العظيم** ،لابن كثير ،أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (المتوفى٧٧٤هـ)، ط:٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨هـ

٧. **التفسير القيم**، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن القيم الجوزية(المتوفى٧٥١هـ)تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف: إبراهيم رمضان ، دار مكتبة الهلال، بيروت،١٤١٠هـ

٨. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبدالرحمن بن ناصر السعدي(المتوفى١٣٧٦) تحقيق: عبدالرحمن بن معالي اللويحق، ط:١، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٢٠-٢٠٠٠م.

٩. **جامع البيان عن تأويل أي القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، (المتوفى ٣١٠هـ) تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط: ١، دار هجر للطباعة

والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢/٢٠٠١م.

١٠. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه** (صحيح البخاري)، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار طوق النجاة، بيروت،ط:١، ١٤٢٢هـ.

١١. **الجامع لأحكام القرآن** ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي (المتوفى٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٢. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** (السلسلة الصحيحة)، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ،الرياض، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٣. **صحيح مسلم**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج ت(٢٦١هـ)، بشرح النووي (المتوفى٦٧٧هـ)،تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية،بيروت،ط:١

١٤. **صفوة التفاسير**، محمد بن علي الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط:١، ١٤١٧-١٩٩٧م.

١٥. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(المتوفى١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ط:١ ،١٤١٤هـ.

١٦. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ،لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢ م.

١٧. **لسان العرب**، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)،لناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

١٨. **محاسن التأويل**، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.

١٩. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد

الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط:١٤٢٢،١هـ.

٢٠. -**مختار الصحاح**، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي(المتوفى٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ،المكتبة العصرية،بيروت،ط:٥، ١٤٢٠/١٩٩٩م.

٢١. **المسؤولية الخلقية والجزاء عليها**، د. أحمد عبدالعزيز الحليبي، مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٤م.

٢٢. **المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)**، (رسالة ماجستير)، إعداد: سجاد أحمد محمد أفضل ، كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية ، باكستان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢٣. **معاني القرآن وإعرابه**، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب ،بيروت، ط:١، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.

٢٤. **معجم الغني**، المؤلف: عبد الغني أبو العزم، مصدر الكتاب: موقع معاجم صخر، ملاحظة: [هذا الكتاب من كتب المستودع بموقع المكتبة الشاملة].

٢٥. **المعجم الفلسفي**، إعداد: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٦. **معجم اللغة العربية المعاصرة** ، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) ،عالم الكتب ،ط : ١، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م

٢٧. **المعجم الوسيط**، مجموعة من المؤلفين: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، القاهرة، ٢٠١٠م.

٢٨. **معجم مقاييس اللغة**، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى٣٩٥)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٢٩. **المفاتيح في شرح المصابيح**، المؤلف: الحسين بن محمود بن الحسن، المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: ٧٢٧ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين

طالب، الناشر: دار النوادر، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م

٣٠. **موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، مجموعة من المؤلفين، بإشراف: د. صالح بن حميد، ط الأولى، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

فهرس المحتويات

الملخص..... ٨٥
مقدمة..... ٨٧
المبحث الأول:تعريف تحمل المسؤولية..... ٩١
المطلب الأول: تعريف التحمل لغة واصطلاحاً..... ٩١
المطلب الثاني: تعريف المسؤولية لغة واصطلاحاً:..... ٩١
المطلب الثالث: المعاني المرادفة للمسؤولية في القرآن الكريم..... ٩٣
المبحث الثاني:درجات تحمل المسؤولية في ضوء قصة يوسف عليه السلام..... ٩٥
المطلب الأول: قوة تحمل المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام..... ٩٥
المطلب الثاني: ضعف تحمل المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام..... ١٠٤
المبحث الثالث: آثار تحمل المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام ١٠٩
المطلب الأول: آثار قوة تحمل المسؤولية في قصة يوسف عليه السلام..... ١٠٩
المطلب الثاني: آثار ضعف تحمل المسؤولية..... ١١١
الخاتمة..... ١١٣
المصادر والمراجع..... ١١٤
فهرس المحتويات..... ١١٨